بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق:2-3].

سورة الطلاق سورة مدنية، جاءت في ثنتي عشرة آية تتحدث عن موضوعين متَّصِلَين، الآيات السبع الأُوَل تتحدث عن أزمة عائلية تودي للطلاق، والآيات الخمس الأُخَر تتحدث عن أزمة مجتمعية، وأقرأ في سورة الطلاق التي جاءت في ورقة واحدة من أوراق المصحف الشريف خمس مرات وصيةً بالتقوى، وكأن الله تعالى يدعونا إلى تذكّر الانضباط بأمره في شدّتنا وكربنا وأزمتنا؛ لنكون بالتقوى من الفائزين، ولتكون العاقبة لنا؛ إذ العاقبة للمتَّقين.

ففي الآية الثانية منها: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾

وفي الآية الرابعة قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾

وفي الخامسة: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾

وفي العاشرة: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾

وفيها في الآية السابعة في خاتمة الحديث عن الأزمة العائلية: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أفضلُ العبادة انتظارُ الفَرَج**» [الترمذي]

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس –رضي الله عنهما–: «**واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفَرَج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً**» [الترمذي وأحمد].

أيها الإخوة:

جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي وزير بن وزير بن وزير، أساء فانقلب الزمان عليه فقُتل جعفر، وأُودِع يحيى وأهلُه السجن.

قال أحد أولاد يحيى ليحيى وَهُمْ فِي القُيُوْدِ: يَا أَبَة، بَعْدَ الأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالأَمْوَالِ صِرْنَا إِلَى هَذَا؟! قَالَ: يَا بُنَيَّ! دَعْوَةُ مَظْلُوْمٍ غَفِلْنَا عَنْهَا، لَمْ يَغْفُلِ اللهُ عَنْهَا.

عَنْ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الهَاشِمِيّ –خَطِيْبِ الكُوْفَةِ– قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أُمِّي يَوْمَ الأَضْحَى، وَعِنْدَهَا عَجُوْزٌ فِي أَثْوَابٍ رَثَّةٍ، فَقَالَتْ: تَعرِفُ هَذِهِ؟ قُلْتُ: لاَ. قَالَتْ: هَذِهِ زوجة يحيى البرمكي وَالِدَةُ جَعْفَرٍ، فَسلَّمْتُ عَلَيْهَا، وَرحَّبْتُ بِهَا، وَقُلْتُ: حدِّثِينَا بِبَعْضِ أَمرِكُم.

قَالَتْ: لَقَدْ هجمَ عَلَيَّ مِثْلُ هَذَا العِيْدِ، وَعَلَى رَأْسِي أَرْبَعُ مائَةِ جَارِيَةٍ، وَقَدْ أَتَيْتُكُم يُقنِعُنِي جلدُ شَاتَيْنِ، أَجْعَلُ أَحَدَهُمَا فِرَاشاً لِي. قَالَ: فَأَعْطِيْتُهَا خَمْسَ مائَةِ دِرْهَمٍ، فَكَادَتْ تَمُوتُ فَرَحاً.

) الفَرَج بعد الشِّدّة) عادة الله تعالى في عباده الصالحين، وهو عنوان عدد من الكتب في المكتبة الإسلامية، تذكر ما ورد في القرآن والحديث والآثار من ذلك، وتذكر قصصاً عمَّن نجَّاهم الله من كُرُبات وشدائد وأزمات.

قال ابن مسعود –رضي الله عنه–: (والذي نفسي بيده، لو كان العسر في جُحْرٍ لطلَبه اليسر حتى يدخل عليه، ولن يَغلِب عسرٌ يسرَين).

وعن عبد الله بن زيد بن أسلم، عن أبيه عن جده: أن أبا عبيدة –رضي الله عنه– حُصِر، فكتب إليه عمر –رضي الله عنه–: مهما نزل بامرئ من شدَّة، يجعل له الله بعدها

فرجاً، ولن يَغلب عُسرٌ يسرَين، فإنه يقول: ﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:200].

وعن ابن عباس –رضي الله عنهما– عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «**كلمات الفَرَج: لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا إله إلا الله العليّ العظيم، لا إله إلا الله ربّ السموات السبع، وربّ العرش الكريم**» [البخاري ومسلم].

وعن ابن مسعود –رضي الله عنه– قال: «**كان صلى الله عليه وسلم إذا نزل به همّ أو غمّ قال: ياحيّ يا قيوم برحمتك أستغيث**» [الترمذي].

ذكروا في قصص من ابتُلِيَ ببلاء ثم فرّج الله عنه: قصة الإمام الجليل والتابعي العَلَم الحسن البصري رضي الله عنه:

اغتاظ الحجاج من الحسن البصري غيظاً شديداً، فدعا به، وقال: والله لأقتلنَّه، فمضى الجندُ فأحضَروه، وقد أُعلم بما قال، فكان في طريقه يحرّك شفتيه بما لا يُسمَع.

فلما دخل على الحجاج رأى السيف والنطع[1] بين يديه وهو متغيّظ، فلما وقعَت عليه عين الحجاج، كلَّمَه بكلام غليظ، ورفق به الحسن، ووعَظَه. فأمر الحجاج بالسيف والنّطع فرُفِعَا، ثم لم يزل الحسن يمرّ في كلامه، إلى أن دعا الحجاج بالطعام فأكلا، وبالوضوء فتوضأ، وبالغالية –أخلاط الطيب– فغلَّفه بيده، ثم صرفه مكرّماً.

فقيل للحسن: بمَ كنتَ تحرّك شفتيك؟ قال: قلتُ: (يا غياثي عند كربتي، ويا عدّتي في ملمّتي، ويا صاحبي في شدّتي، ويا وليّ نعمتي، ويا إلهي، وإله إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، والأسباط، وموسى، وعيسى، ويا ربّ النبيين كلّهم أجمعين، صلِّ على محمد وآله الطيبين الطاهرين الأخيار، وارزقني مودّته وخيرَه ومعروفه، واصرف عنّي أذاه وشرّه ومكروهه ومعرَّته –أي: غضبه–). ففعل ربي عز وجل ذلك.

---

[1]() النطع: بساط من الجلد، كثيراً ما كان يُقتَلُ فوقه المحكوم عليه بالقتل، يقال: عليّ بالسيف والنطع. [المعجم الوسيط]

وذكر التنوخي قصة الرجل الصالح إبراهيم بن الأدهم -رحمه الله- في سفَره قال:

عن عبد الجبار بن كُليب قال: كنا مع إبراهيم بن أدهم في سفر، فعرض لنا دابة كبيرة أهمّتنا وأخافتنا، فقال إبراهيم: قولوا: (اللهم احرُسنا بعينك التي لا تنام، واحفظنا برُكنك الذي لا يُرام، وارحمنا بقدرتك علينا، لا نهلك وأنت رجاؤنا، يا الله يا الله يا الله)، قال: فولّت الدابة وسُرِّيَ عنا، قال عبد الجبار: فأنا أدعو الله بهذا الدعاء عند كلِّ مخوِّف، فما رأيت إلا خيراً.

أيها الإخوة:

وأنتم تنتظرون الفرج من الله صِلُوا أرحامكم، وبرّوا مساكينكم، وأحسِنوا إلى جواركم، وأكثروا من الدعاء والاستغفار.

قال صلى الله عليه وسلم: «**من أكثر الاستغفار جعل الله له من كل همٍّ فرَجاً، ومن كلِّ ضيقٍ مخرجاً، ورزَقه من حيث لا يحتسب**» [أبو داود وابن ماجه].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**دعوات المكروب: اللهم رحمتك أرجو فلا تَكِلْني إلى نفسي طرفَة عين، وأصلِح لي شأني كلَّه، لا إله إلا أنت**» [أبو داود والنسائي].

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ * وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾.

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ * وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾ [الصافات: 114-116]

وقال سبحانه: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: 83-84].

أيها الإخوة:

انتظار الفرَج في زمن الشدَّة والضيق والبلاء عبادة من أَجَلِّ العبادات، وكلَّما اشتدَّت حاجة الإنسان إلى ربه، وعَظُمَت ضرورته إليه، وزاد إقباله عليه اقترب منه الفَرَج، وأقبَل عليه اليُسر.

وانتظار الفرَج وترقُّبه يخفّف حملَ المشقَّة، لا سيما عند قوة الرجاء، أو القطع بالفرَج.

فما دمتم مطيعين الله، مفتقرين إليه، ملازمين دعاءه، معينين الضعيف، ناصرين الحق، متعاونين على البر... فلا تيأسوا من لطفه، ولا تخافوا الضّيعة، ولا تركنوا إلى خاطر اليأس، ولا تظنوا أن الليل ليس له آخر.

كونوا متفائلين تحسِنون الظنَّ بربكم؛ فإن النصر مع الصبر، وإن الفرَج مع الكرب، وإنَّ مع العسر يسراً، ولن يغلِب عسر يسرين.

اللهم آمِن روعاتنا، واستر عوراتنا، واقرن بالعافية غدوَّنا وآصالَنا. وعجل لنا بالفرج محفوفاً بلطفك.

والحمد لله رب العالمين